

مشروع الإصلاح التربوي في الجزائر بين التنظير والتنفيذ

الأستاذة: زهرة بوخاتمي

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس-الجزائر

الملخص:

إن وزارة التربية الوطنية الجزائرية وسعيها منها إلى تعزيز مبدأ الجزائر الديمقراطية في المجال العلمي والتكنولوجي قامت بإصلاح شامل للمنظومة التربوية، إذ لم تغن حساسية التجاوب مع المعرفة العملية التعليمية التعليمية في ظل البيداغوجيات التقليدية من جوع، إثر اهتمامها بتقديم المعرفة جاهزة، فظل هذا النموذج طاغيا لعقود من الزمن، إذ كان المعلم مرتكز العملية التعليمية، وهو صاحب الدور الريادي، بينما المتعلم المرآة التي تعكس كفاءات المعلم: العلمية والفنية، فالعلاقة بين المعلم والمتعلم جافة يسودها الخوف والتردد، الضجر والملل، هذه العلاقة تحول دون اكتساب الكفاءات نظرا لعجز المتعلم على تحويل المعارف وتوظيفها خارج سياقها في وضعية ما من وضعيات الحياة، فالمتعلم إثر ذلك يثقف نفسه مجبرا على تخزين المعارف بكميات كبيرة.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح التربوي ; الجزائر ; البيداغوجيا ; التربية ; التعليم ; التعليمية ; المناهج التربوية

بينما تركز البيداغوجيا الأهداف على الهدف وانتقاء المضامين وتمحور حول التعليم تركز البيداغوجيا الكفاءات على الطريقة والجانب الوظيفي للمعرفة وتمحور حول المتعلم وما ينبغي أن يكون قادرا على إنجازها. إنها مرحلة النوعية إذ تربعت البيداغوجيا الكفاءات على مقاعد مؤسساتنا التربوية، البيداغوجيا ترى العملية التعليمية التعليمية بناء ذاتيا، لا حمولة معرفية يلقتها المعلم للمتعلم على أمل اكتسابها ثم تحويلها إلى قدرات ، فقد أمسى في ظل هذه البيداغوجيا معتمدا على نفسه في بناء المعارف وتجنيدتها في وضعيات متعددة ومختلفة، أما المعلم فيكسبه كيفية التعلم، والسياقات المناسبة لتوظيف معارفه.

تهتم البيداغوجيا الحديثة بالمتعلم فيما تعد المعلم منشطا فحسب، يستحدث الوضعيات التي من خلالها يكتشف المتعلم المعارف، يتعرف على السياقات المناسبة لتكييفها، وبالتالي صارت ممارسة المعلم لمهنته ذو انعكاسية، احترافية وإيجابية. فبيداغوجيا الكفاءات لا يعبر عن قيمتها بكمية المعارف والمعلومات التي يكتسبها التلميذ، وإنما بقدرته على توظيفها في حياته اليومية فقد جاءت لتقترح تعلمها مدجا غير مجزأ على غرار المقاربة بالأهداف التي قدمت المادة العلمية مجزأة، مركزة بذلك على فاعلية المحتويات التعليمية.

إن تنفيذ المناهج الموضوعية في ظل المقاربة بالكفاءات كان حتمية فرضها واقع التعليم في الجزائر، لكن سياسة التطبيق غيبت بادئ الأمر تكوين المعلم، لكن ما لبث حفيظة القائمين على الشؤون لتربوية في بلادنا يتداركون هذا الأمر بعد مضي ثلاث سنوات من الإصلاح، لكن لم يكلل ذلك الإستدراك بنجاح ما دامت خطة التنظير في حد ذاتها محملة بمجموعة من التناقضات.

إن كل هذه الجهود استنزفت خزينة الدولة في وضع مناهج جديدة ببرامجها ثم عمليات التكوين وزيادة أجور موظفي قطاع التعليم كل ذلك على سبيل التشجيع كون هذا القطاع يعد منتجا والإستثمار فيه من أنجع المشاريع لما له من فوائد رجعية.

ما نصبو إليه من خلال ورقتنا البحثية هو الجوس في مسارب إشكاليات عديدة تتعلق فيما تتعلق بالتساؤلات الآتية:

- ما هي الجهود المبذولة في عملية الإصلاح التربوي؟ .
ما واقع التعليم في الجزائر نظريا وتطبيقا؟

في ظل المستجدات العصرية التي يواجهها العالم إبان القرن الحادي والعشرين المنجزة عن تحديات العولمة ، بفعل هذه الأخيرة نظاما تفرضه المجتمعات المتقدمة علميا وتكنولوجيا واقتصاديا ، يشرع تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال على جميع الأصعدة، فرضت التحديات على الأنظمة الوطنية لمواكبة هذا التعصن، فلم يوجد أفضل من المدرسة لمواجهتها، كونها ركيزة يعتمد عليها في بناء الأجيال، من هنا تتأكد ضرورة الإصلاح التربوي في الجزائر.

تتلخص الأسباب المؤدية إلى الإصلاح فيما يأتي¹:

- 1- عدم تجلي المرجعية الوطنية في بناء المناهج وتقييمها، يتعلق هذا الغموض خاصة بالإطار النظري والاختيارات المنهجية .
- 2- تغييب ملامح المتعلمين في نهاية كل طور .
- 3- اتساع الهوة بين احتياجات المجتمع الجزائري العصرية ومحتويات البرامج القديمة.
- 4- غياب البحث التربوي عن الساحة البيداغوجية .
- 5- عدم فعالية النظام التقييم الذي كان قائما .
- 6- فشل محاولات التعديلات التي كُتفت لسد النقائص.
- 7- تشتت مضامين المادة الواحدة ، وعدم الانسجام فيما بينها وبين المواد الأخرى.
- 8- تناقض برامج تكوين المعلمين مع برامج التعليم في بعض الأحيان .
- 9- ارتكاز البرامج القديمة على فكرة التعليم دون التعلم .
- 10- اختلال شعور المعلم والمتعلم بالمادة التعليمية.

ناهيك عن أسباب أخرى جعلت المعلمين يدعون إلى التغيير في المناهج وهي²:

- أ- تأكيد المناهج على الكم.
- ب- احتواء المناهج على موضوعات يقل استعمالها باعتبارها لا تراعي مدارك الطلبة.
- ج- ضعف ارتباط المحتويات فيما بين السنوات المختلفة .
- د- عدم مواءمة الطرائق البيداغوجية لمعالجة محتويات الكتب المقررة .

غيّرت الإصلاحات التربوية مسار تعلم الإنتاج الآلي إلى تعلم كيفية الرد على الوضعية باختيار الوسائل والطريقة المعتمدة بذلك يتمكن من بناء كفاءة قابلة للنقل (التحويل) ، حيث إذا امتلك كفاءة ما في وضعية معينة بإمكانه تعميمها وتحريكها كلما استدعت الحاجة إلى ذلك.

تستند هذه المقاربة إلى ما أفرته النظريات المعاصرة حول التعلم، نخص بالذكر النظرية البنائية باعتبارها أساسا رئيسا لبناء المنهاج المدرسي، تقرّ مبدأ بناء المعرفة لا نقلها، إنتاجها عن نشاط لا إلقائها وحدوثها في سياق معيّن، فالتلميذ لا يدخل إلى المدرسة صفحة بيضاء كما أفرته البيداغوجيات الآنفة إنّما صاحب خبرات سابقة يمكن البناء عليها إذ يتعلم من الخبرات التي يعيشها.

تركز المناهج المستجدة على الكيف المنهجي بدلا من الكمّ المعرفي تبعا لنظام الوحدات الذي يركز على مضامين ذات صفة تماسكية وتكاملية، لتحقيق كفاءات ذات طبيعة مهارية وسلوكية متوائمة وضروريات الواقع المعاصر. تنفيذ الإصلاح التربوي :

يندرج الإصلاح إذن في إطار مسار التجديد الشامل، وعلى هذا الأساس قامت وزارة التربية الوطنية منذ الدخول المدرسي 2004/2003 بعدة عمليات قصد التغيير النوعي للتعليم القاعدي الإجمالي، فتم تبني المقاربة بالكفاءات لدعم فلسفة المجتمع الجزائري وثقافته تبعا لمستوى العقيدة والقيم والعادات والأعراف السائدة في المجتمع، وكذا الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يطبقها المجتمع³.

ارتكازا على هذه الميادين، تمّ فعلا تقنين تخطيط تربوي عام، لا ننفي في ذلك التخمينات الواقعة في المراحل الأولى من التطبيق، لا سيما المواجهات السلطنتساوية اتجاه موجة التغييرات الجذرية، لكن النتائج لا تنجلي خلال السنوات الأولى من التطبيق، وإنما تتغير وتتبدل تبعا لواقع التنفيذ، وهذا شأن أي تجديد يحدث في أي ميدان.

فقد تمّ الشروع في تطبيق الإصلاح باعتماد المناهج الجديدة التي تنقل "المتعلم من منطق التعليم (تلقي العارف) إلى منطق التعلم، أي ممارسة مدلول المعارف، يوضع المتعلم أمام وضعيات إشكالية ومواقف ماثلة لفحوى التعلم بنفسه مما يدفع به إلى تكيف وتوظيف المعارف قصد إيجاد حل لهذه الإشكاليات"⁴. وفي خضم ذلك تمّ تنظيم التمدرس وفق ما ينص عليه قانون التربية الوطنية: "تتكون منظومة التربية الوطنية من المستويات التعليمية الآتية :

- التربية التحضيرية.
- التعليم الأساسي الذي يشمل التعليم الابتدائي والتعليم المتوسط.
- التعليم الثانوي العام والتكنولوجي"⁵.

طبّق الإصلاح في سنة 2004/2003 في السنتين الأولى ابتدائي والأولى متوسط، وفي سنة 2005/2004 تواصلت العملية الإصلاحية مع السنة الثانية ابتدائي والسنة الثانية متوسط، وفي سنة 2006/2005 في السنتين الثالثة ابتدائي والثالثة متوسط وكذا في السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي⁶، وفي سنة 2007/2006 في السنتين الرابعة ابتدائي وإدراج الرابعة متوسط، والسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي⁷. وفي سنة 2008/2007 في السنتين الخامسة ابتدائي والأولى ثانوي.

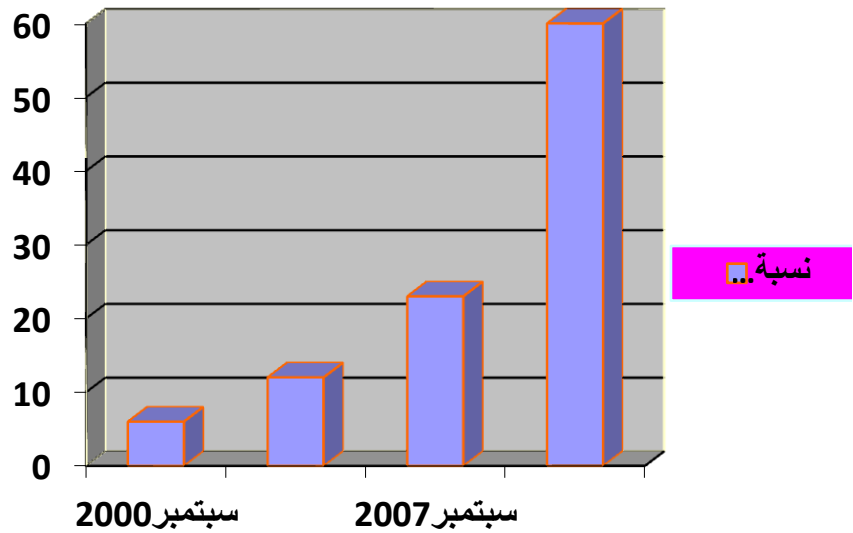
هذا وقد تم إدراج التربية التحضيرية في التعليم بمقتضى القانون التوجيهي للتربية⁸ الذي نص على التربية التحضيرية استنادا للمادة 38: "تشتمل التربية ما قبل المدرسية التي تسبق التمدرس الإلزامي على مختلف مستويات التكفل الاجتماعي والتربوي للأطفال الذين يتراوح سنهم بين ثلاث (3) وست (6) سنوات".

التربية التحضيرية بمفهوم هذا القانون هي المرحلة الأخيرة للتربية ما قبل المدرسية وهي التي تحضر الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس (5) وست (6) سنوات للالتحاق بالتعليم الابتدائي، وتهدف إلى:

- العمل على تفتح شخصية الأطفال بفضل أنشطة اللعب التربوي.
- توعيتهم بكيانهم الجسمي لاسيما بإكسابهم عن طريق اللعب مهارات حسية وحركية.
- غرس العادات الحسنة لديهم بتدريبهم على الحياة الجماعية.
- تطوير ممارستهم اللغوية من خلال وضعيات التواصل المنبثقة عن النشاطات المقترحة ومن اللعب.
- إكسابهم العناصر الأولى للقراءة والكتابة والحساب من خلال نشاطات مشوقة وألعاب مناسبة.
- يتعين على مسؤولي المدارس التحضيرية بالتنسيق مع الهياكل الصحية الكشف عن كل أشكال الإعاقة الحسية أو الحركية أو العقلية للأطفال والعمل على معالجتها قصد التكفل بها بصفة مبكرة.

وما لوحظ هو إقبال الأولياء على تسجيل أولادهم بشكل متزايد حتى أن ذلك أضحى مشكلة، إليك

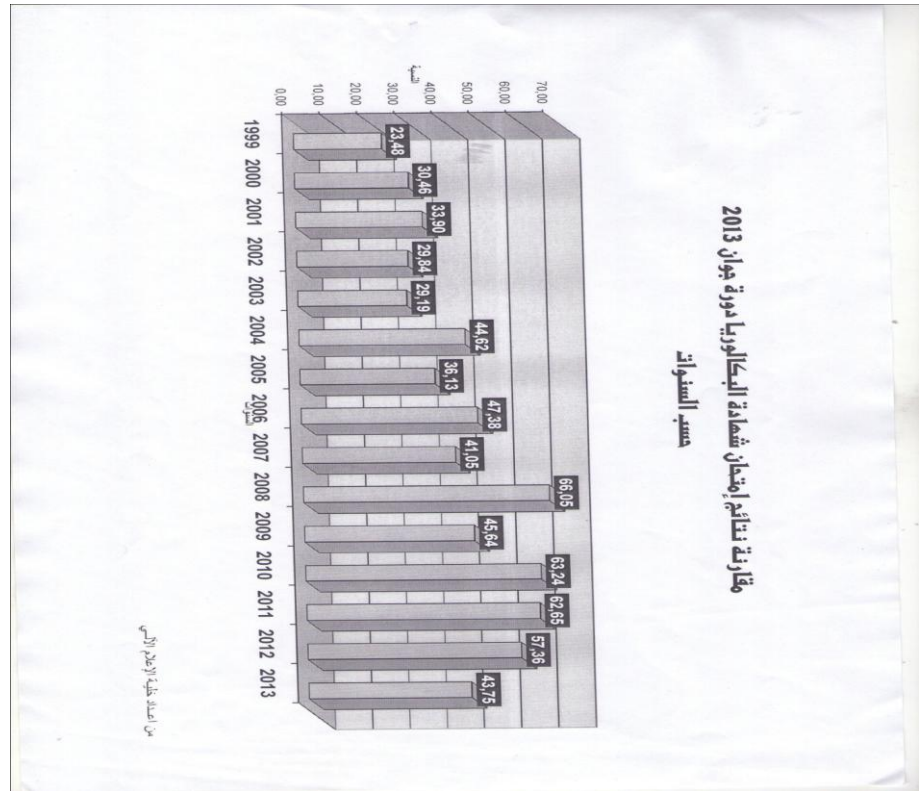
الأعمدة البيانية الآتية التي تبين مدى تهافت التسجيلات في السنة التحضيرية :



الشكل 1/ نسبة التسجيلات في السنة التحضيرية⁹

فالتكفل بالتربية التحضيرية يعمل على ضمان تنشئة الطفل اجتماعيا وتحضيره للمدرسة، ضف إلى ذلك أنها تساعد الطفل على النمو السليم واكتساب مواقف وكفاءات تمكنه من بناء التعلّيمات الأساسية مما جعل الأسر الجزائرية تسعى إلى تسجيل أبنائهم في الصف التحضيري مما يفسر زيادة نسبة التسجيل المبينة في الأعمدة البيانية المرسومة أعلاه.

كما شهدت البكالوريا تحسنا نوعيا على مدى سنوات الإصلاح مقارنة مع سنوات التدريس بمقاربة الأهداف ،إليك البيان الآتي:



يلاحظ من خلال الأعمدة البيانية تطور نتائج البكالوريا أثناء سنوات الإصلاح، إذ لم تتعد نسبة 40 % سنوات ما قبل الإصلاح، فيما تعدت ذلك على مدى تسع سنوات أثناء الإصلاح حيث بلغت ذروتها سنة 2008 بنسبة (66.05%) والسبب أنها كانت سياسية. لتتقص إلى غاية 43.75% سنة 2013 م، بسبب صعوبة بعض المواضيع من قبيل امتحان الفلسفة بالنسبة لشعبة الآداب والفلسفة، وكذا الرياضيات بالنسبة لشعبة رياضي تقني .

رابعا: أبعاد الإصلاح

تتمص الخيارات البيداغوجية المطروحة للتنفيذ دور البطولة في إعادة هيكلة الساحة التربوية في الجزائر، إذ ترسخ مجموعة من المبادئ و الأهداف إن على المستوى الداخلي أو الخارجي بفعل تأتيها إثر تخطيط محكم وعمل جهودي متقن 10 .

ولبلورة وهندسة تلك المبادئ والأهداف تم اعتماد التربية على قيم العقيدة الإسلامية وقيم الهوية الحضارية، وقيم المواطنة، كما لا ننسى احتضان كل التغييرات المؤسساتية، الإقتصادية، الإجتماعية والثقافية التي تعد رئيسة وبنّاءة في المجتمع الجزائري .

كما تضطلع المدرسة بدور هام كرفع نوعية النظام التربوي وإعداد مواطن الغد، أما على المستوى الخارجي فتعنى بتكريس الجهود الرامية إلى إنشاء وطن متين بالرفع من المردودية الإقتصادية والإجتماعية .

يتأتى هذا التلاحم باعتماد العلاقة التفاعلية بين المدرسة والمجتمع، باعتبار المدرسة محركاً أساسياً للتقدم الاجتماعي وعاملاً من عوامل الإنماء البشري :

تكوين معلم جزائري كفاء يستوعب التحولات الحضارية ويسهم في النهوض بالأمة اقتصادياً وعلمياً.

تكوين شخصية مستقلة متوازنة ومتفتحة على العالم الغربي الذي انفجرت فيه العلوم بشكل رهيب شرط التعلق بما يقتضيه الدين والشرع، وما تمليه القيم والأخلاق الوطنية

اعتماد مبدأ التوازن في التكوين بين مختلف أنواعه (نظري / عملي)، وكذا بين مختلف أنواع المعرفة .

ضرورة مواكبة التكوين الأساسي والمستمر لكافة مؤطري العملية التربوية، فمهنة التعليم تضاهي باقي الصناعات كونها تعمل على تكوين أجيال هم بناء المستقبل .

تبني مقارنة شمولية ومتكاملة تراعي التوازن بين البعد الاجتماعي والبعد المهاري والبعد المعرفي، وكذا بين البعد التحريبي والبعد التحريدي .

وعلى هذا الأساس تمّ تبني المقارنة بالكفاءات كبيداغوجيا حديثة وفعالة تدعو إلى ضرورة بناء الكفاءات، حتى يسمي المتعلم ببناء خارج مدرسته، مواجهاً لمشاكل حياته، لذا ارتكزت هذه المقارنة على مجموعة من المبادئ هي¹¹ :

❖ الكل يفوق مجموع الجزء .

❖ ليس لكل نفس الأهمية.

❖ حتى الأكثر كفاءة يخطئ .

❖ ما يميّز الخبير عن غيره هو قدرته على التشخيص والعلاج، فللمدرس الخبير عينان خلف ظهره.

❖ ما يتم تعلمه في وضعيات دالة بالنسبة للمتعلم يبقى أثره مع مرور الزمن .

هذا وتسن المقارنة بالكفاءات في سير الحصص التعليمية مبدأ التجريد إذ ينبغي تعليم التلميذ فكراً تجريدياً حتى يسمي سوس عقله عاملاً ومتحركاً نتاج ذلك . إن هذا الاختيار المنهجي تقوم قائمته على تبني المقارنة بالكفاءات في بناء البرامج، ويعد التقويم بعداً من أبعاد الفعل التعليمي / التعليمي، مما يستلزم اعتماد الطرائق النشيطة والتفاعلية البنائية الملائمة للمقارنة بالكفاءات، وحتى تكون البرامج موائمة و هذه الأطروحات ينبغي تحقيق التناسق الأفقي والعمودي.

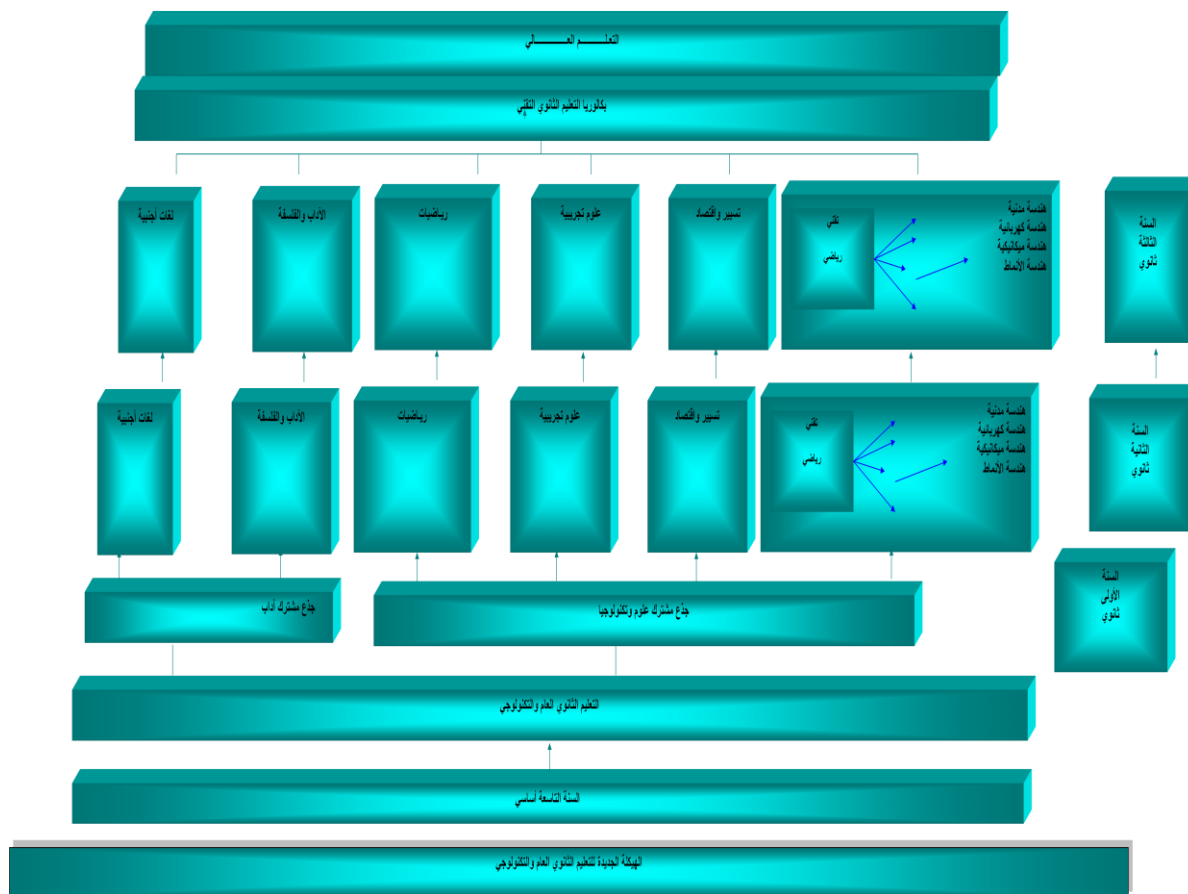
لا يعزب عن أذهاننا احتضان المقارنة بالكفاءات لبيداغوجيات عديدة أهمها : البيداغوجيا الفارقية، فقبل ربح من الزمن لم نكن نسمع كما نسمع اليوم عن الفروق الفردية و بيداغوجيا حل المشكلات والوضعية المشكل والتقييم التشخيصي والبنائي والنهائي، وكذا المشروع ، بيداغوجيا الخطأ، بيداغوجيا التعاقد،..... إلخ.

أهداف الإصلاح التربوي للتعليم الثانوي

في خضم الحديث عن الإصلاح التربوي وأهدافه لا بد من الغوص في مكان من حيثياته، إذ أن هذا الإصلاح مشروع أمة وليس بالأمر الهين وأهداف الإصلاح عديدة إنما تتبدى في المبادئ التي روعيت أثناء إعداد هذه المناهج من بينها¹² :

- اعتبار المتعلم محور العملية التربوية .

- تعديل الوقت .
 - ترشيد استعمال الزمن البيداغوجي .
 - تجديد وتحديث المحتويات المعرفية تماشياً مع ما يناسب محيط التلميذ.
 - توسيع أنظمة الاستدراك والدعم.
 - إدراج أبعاد جديدة في محتويات بعض البرامج التعليمية بدءاً من السنة الأولى أساسي (البعد التاريخي، البعد البيئي، البعد الصحي، البعد العلمي /التكنولوجي..)
 - الأخذ بعين الإعتبار برامج التربية التحضيرية قاعدة تبنى عليها المراحل الموالية
 - مراعاة المكتسبات القبلية في إعدادات في إنتقاء المحتويات .
 - مراعاة تعليم ذوي الإحتياجات التربوية الخاصة عند بناء المناهج الجديدة .
 - التركيز على إدماج الكفاءات العرضية في النشاطات التربوية .
 - الإهتمام بتنمية النشاطات الفكرية والتحكم في توظيف المعارف واعتبارها من أولوية الأولويات. إدراج المعلوماتية كوسيلة تعليمية في تدريس المواد .
 - الإهتمام بمنهجية التناول وتنويع طرائق التدريس عند اختيار المحتويات والأنشطة.
 - إدراج البعد التاريخي في تدريس العلوم في مختلف المراحل .
- فالتعليم الثانوي في المسار الدراسي يمثل: "مرحلة التنوع والتوجيه والتحضير للتعليم العالي أو للحياة المهنية وعليه من المهم تزويد كل تلميذ في نهاية مساره بمؤهلات تمكنه من مساهمة نشطة في المجتمع"¹³، وما روعي باهتمام بالغ في التعليم الثانوي هو إعادة النظر في التعليم التقني الذي لا ينفك يعد جزءاً لا يتجزأ من المنظومة التربوية جنباً إلى جنب مع التعليم العام بمقتضى ما نص عليه القانون التربوي:¹⁴ على أن التعليم الثانوي العام والتكنولوجي يشكل المسلك الأكاديمي الذي يلي التعليم الإلزامي.
- التعليم الثانوي العام والتكنولوجي** "المادة: 53 يشكل التعليم الثانوي العام والتكنولوجي المسلك الأكاديمي الذي يلي التعليم الأساسي الإلزامي".
- و من بين الأهداف التي ينشدها التعليم الثانوي تعميق المعارف في مختلف مجالات المواد التعليمية، وتطوير قدرات المتعلمين الفردية والجماعية، ضف إلى ذلك تنويع مجالات التخصصات توازياً وميولات المتعلمين وقدراتهم.
- يهدف التعليم الثانوي إلى تحضير التلاميذ لمتابعة دراستهم في التعليم الجامعي، تدوم الدراسة فيه -التعليم الثانوي- ثلاث سنوات مهيكلا في جذعين مشتركين: جذع مشترك آداب وجذع مشترك علوم وتكنولوجيا في السنة الأولى، ثم يتفرعان إلى عدة شعب في السنة الثانية والثالثة، كما يتوج التعليم الثانوي بشهادة البكالوريا-لاحظ الوثيقة الموالية-.



شكل 1: وثيقة تبين هيكلية التعليم الثانوي العام والتكنولوجي¹⁵

وقد انصب الاهتمام به حول المحاور الآتية¹⁶:

- ✚ تكامل كل من التعليم العام والتقني والتكوين المهني .
- ✚ مراجعة البرامج التعليمية .
- ✚ تعريف الحاجيات الجديدة والتأهيل والتحضير الجيد والمتقن للشباب إلى حياة مهنية نشيطة.
- ✚ تحديد وتحضير تكاليف التعليم التقني .
- ✚ تطوير البحث بغية تسهيل أداء الأساتذة وتحسين تنقل المعارف بين النشاط الاقتصادي، التربوي والبحث العلمي.
- ✚ مظاهر الإقصاء من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والانتقال الصعب الناتج عن نظام تعليمي غير مطابق.

- هيكلية التعليم الثانوي والتقني وتنظيمه:

تتميز هيكلية التعليم الثانوي الحالية بوجود ثلاثة جذوع مشتركة: الجذع المشترك تكنولوجيا، والجذع المشترك علوم، والجذع المشترك آداب¹⁷.

1- جذع مشترك آداب وعلوم إنسانية: يدوم سنتين، يتوج بكالوريا آداب وعلوم شرعية وبكالوريا فلسفة.

2- جذع مشترك علمي: وتتفرع منه في السنة الثانية شعبتان هي علوم واقتصاد تتوج كلاهما بكالوريا علوم وبكالوريا اقتصاد.

3- جذع مشترك تقني رياضي: السنة الأولى والثانية يتوج بكالوريا تقني رياضي في أربعة أنواع من الهندسة : هندسة مدنية ،هندسة ميكانيكية ،هندسة كهربائية وهندسة كيميائية.

فقد تقسيم التعليم الثانوي (ما بعد الإلزامي) إلى جذع مشترك علوم وتكنولوجيا وجذع مشترك آداب، وبالانتقال إلى السنة الثانية يتم الإختيار بالنسبة لتخصص آداب وفلسفة ما بين تخصصين، إما الآداب والفلسفة أو اللغات الأجنبية، والأمر ذاته بالنسبة للسنة الثالثة، أما عن جذع العلوم والتكنولوجيا فيتم الإختيار ما بين الرياضيات التقنية والتي بدورها تنقسم إلى هندسة ميكانيكية، هندسة كهربائية، هندسة مدنية وهندسة الطرائق، أو الإنتقال إلى تخصصات أخرى من قبيل الرياضيات، تسيير وإقتصاد، العلوم التجريبية، ومن لم يسعفه الحظ في هذا الجذع فيمكنه أن يتحول إلى جذع الآداب والفلسفة.

وبذلك فالتعليم الثانوي إختياري، لأن كل جذع مشترك أو شعبة تتضمن تعليما عاما قاعديا يشتغل ثلثي الحجم الساعي، وتعلما إختياريا لا يتجاوز الحجم الساعي الإجمالي 30 ساعة. إن الهدف المنبثق عن سياسة التعليم الإختياري تكمن في عدة نقاط أهمها¹⁸:

- ◆ الإعلامية التطبيقية (التسيير، البحث التوثيقي، معالجة نص، ...)
- ◆ الإفتتاح على مظاهر جديدة من مادة معينة من قبيل رياضيات تطبيقية، إلكترونيك، ...
- ◆ يفتح أقطاب امتياز في بعض المجالات في مؤسسات معينة (إلكترونيك، موسيقى، إعلامية، ...)
- ◆ إكتشاف مواد جديدة من قبيل الفنون، لغات أجنبية، ...
- ◆ الأخذ بعين الإعتبار المواد الإختيارية في نظام التقييم ونتائجها سيعطي التعليم الإختياري طابعا إيجابيا محفزا.

عناصر التجديد التي يقرها الإصلاح:

تماشيا والتطورات المهيمنة على الساحة العالمية، وسعيا إلى تحسين مردود الفعل التربوي، تم إدراج مجموعة من العناصر التجديدية في مناهج التعليم ومن بينها¹⁹ :

الطور الأول :

- إدراج الإيقاظ العلمي والتكنولوجي بدء من السنة الأولى أساسي، شاملا أربعة أبعاد هي: البعد البيولوجي، البعد الكيميائي، البعد الفيزيائي، البعد التكنولوجي .
- إدراج أبعاد جديدة في محتويات بعض المواد التعليمية بدء من السنة الأولى أساسي (البعد التاريخي، البعد الجغرافي، البعد البيئي، البعد الصحي... في برامج التربية المدنية).

الطور الثاني:

- إدراج معلومات أولية في الإعلام الآلي - ضمن الإيقاظ العلمي والتكنولوجي).
- الخرجات الاستكشافية (خرجة واحدة على الأقل في السنة لكل تلميذ).

الطور الثالث :

- إدراج أنشطة في المعلوماتية (مادة التكنولوجيا والاتصال).
- إدراج البعد الكيميائي المعدني في برامج التكنولوجيا والاتصال و البعد البيوكيميائي.
- النشاطات اللاصفية ، خصصت لها ساعتان أسبوعيا ، يتكفل بتأطيرها معلمون وأساتذة في إطار استكمال الوقت أو كساعات إضافية.

الطور الثانوي:

- إدراج المعلوماتية كوسيلة هامة للتدريس . إدراج بعد إكتساب مهارات التعامل مع المخابر والتطبيقات العلمية .

إستراتيجية الإصلاح:

قامت وزارة التربية الوطنية في إطار إصلاح شامل بإعادة هيكلة مختلف المستويات التعليمية ، فقد تمّ تحديد سنوات التعليم الإجباري بتسع سنوات هيكلت في وحدتين متكاملتين : التعليم الابتدائي على مدى خمس سنين والتعليم المتوسط على مدى أربع سنين . ثمّ المرحلة الثانوية الممهدة للتعليم العالي والمحددة بثلاث سنوات²⁰ .

- إستراتيجيته :

يسعى الإصلاح المنشود إلى محورة القدرات والكفاءات لمختلف المراحل التعليمية على النحو الآتي :

- **مرحلة التعليم الابتدائي** : تعنى ببناء القدرة على الاتصال وفي مواقف مختلفة بغية الحصول على معارف وتوظيفها في مواقف عدة ، ثم تنمية المهارات اللغوية ، الرياضية ، الثقافية ... وكذا استخدام وسائل تقنية للحصول على المعرفة .
- **مرحلة التعليم المتوسط** : تعنى بدفع المتعلم نحو التفكير والبناء المعرفي، حيث يتدرب على اكتشاف المعارف والتنقيب عنها ، وكذا إبراز أهمية البناء المعرفي للبشرية مادة وطريقة.
- **مرحلة التعليم الثانوي** : تركز على وضع المتعلم أمام مشكلات حقيقية ، حتى يتعلم مهارات التعلم الذاتي ، أي تنمية روح البحث والاكتشاف.

ومن ثم تدفع المدرسة المتعلم إلى الاعتماد على نفسه ، وتعليمه كيفية تفجير طاقاته واستثمار معارفه المدرسية في حياته الاجتماعية والمهارة ليقوّي علاقاته بواقعه ومحيطه.

فقد زادت الأنظمة التعليمية انفتاحا على التجارب الدولية الناجحة ، في جوانب القوة والفعالية ، لكون " تجارب الدول في تطوير التعليم وإصلاح شؤونه تجارب إنسانية تتعلق ببناء البشر وإعداد الفرد للمستقبل ، وتمكينه من التكيف مع مجاهل المستقبل وتحدياته... " ²¹ تماشيا مع هذه التميّزات الفاعلة في بناء المجتمع على نحو أفضل وبصفة أعمّ، أخذ الإصلاح الذي شرعت المدرسة الجزائرية في تبنّيه كلّ الضمانات، الإستراتيجيات والأدوات الضامنة للنجاح .

إن الشروع في إصلاح المنظومة التربوية والمعلن عن قراره يومي 25 و 26 ديسمبر 2002 بنزل الأوراسي من طرف السيد وزير التربية الوطنية²² كان مدخله عن طريق البرامج ، كون المنهاج والفعل التربوي يعتبران الإطار الأساسي لتنفيذه ، وتحديد سياسة تكوين المدرّسين وإعداد الوسائل التعليمية.

فقد تمّ تجاوز التصور الكلاسيكي للبرامج التعليمية وتطويرها توازياً مع المتغيّرات المعرفية العلمية والتكنولوجية، هذا والإهتمام البالغ فيه بالكتاب المدرسي ومراعاة المستويات الآتية²³ : اللغة وأسلوب الكتاب ، الإخراج بعدة صيغ سمعية وبصرية ، الغلاف و الورق ، تنظيم المحتوى، اعتماد الرسوم والصور التوضيحية ، واختيار الألوان المناسبة...

تعليم اللغة العربية في ظل إصلاح المنظومة التربوية :

يسنح هذا الإصلاح بتطوير العملية التعليمية خاصة تعليمية اللغة العربية كونها مادة للتعلّم وأداة للتعليم إذ تستزيد تميّزا بما يلي²⁴ :

- تشعّب المجالات المعرفية لعالم اللغة إذ ترتبط بموضوعات خارجية حيناً ، وتستقل حيناً آخر، مما يستوجب على المتعلم حينئذ التحرر من فكرة التلقي والإستهلاك ، وتبني نشاطات أخرى تتمثل في التحليل، التركيب والإنتاج.
- عدم محدودية القضايا في تعليمية اللغة العربية كونها تتأرجح على آراء متعددة ومتنوعة بتجّاه قضية واحدة، مما يستصعب الأمر على المتعلم ويعيق اجتهاده على إصدار حكم نهائي.

تنطلق تعليمية اللغة العربية من مجموعة من الخاصيات البيداغوجية ، لذلك يرسم المنهاج الرسمي منطلقات وجب تداركها في العملية التعليمية ممّا يسهل عملية التعليم وييسّر سبيل المدرس. كما لا ينبغي أن يعزب عن أذهاننا أن قواعد اللغة العربية بصفة عامة وقواعد النحو بصفة خاصة أدوات تساعد المتعلم على فهم البنيات اللغوية ونظام التراكيب اللغوية ، لتجنّب الأخطاء والتوصل إلى فهم المعاني والدلالات المقصودة مما يصقل ذوقه الفني وبالتالي يمكنه من استدراك بعض طرائق التفكير، إن المتعلم خلال المرحلة الثانوية في حاجة ماسة إلى تنمية تفكيره كونه مقبلاً على مرحلة جامعية، ومن ثمّ حياة عملية ومهنية فيتمكن من مساندة الحياة الثقافية السائدة.

لا أحد ينكر ضرورة الإهتمام بتعليم اللغة العربية كونها وسيلة تعليمية ومادة مبرجة للتعليم في الوقت ذاته في نظامنا التربوي، لا مناص إذا من إحاطتها باهتمام خاص ومبالغ فيه، والهدف الذي يتأتى جراء ذلك ما من أحد إلا ويدرك مداه ولا يستطيع تقدير فعاليته، إذ أن اللغة العربية لن تنهض إلا باحترام أهلها لها، وتعلقهم بشخصيتها، وحرصهم على خدمتها علمياً وتربوياً، حتى تسمي مواكبة للمستجدات المعرفية، حتى يتحقق ذلك ينبغي أن نكون حاذقين ونحذو حذو أسلافنا لما أصاب العربية اللحن هموا إلى حفظها من الزلل واللغظ، وعملوا على تقنين قواعد تحفظها، كما جمعوا كل ما يشكل التراث العربي، إن الجهود التي ينبغي التكفل بها عديدة من بينها²⁵ :

✓ تغيير مواقفنا الرسمية وغير الرسمية تجاه اللغة العربية لتنمية الوعي بالقضية اللغوية وتقوية حاسة الغيرة عليها .

✓ الإهتمام بسلامة اللغة وجودة التعبير .

✓ الحد من ظاهرة انصراف الكثيرين إلى استعمال لغة ضعيفة مفككة .

✓ الحد من ظاهرة تفشي العامية الركيكة في الأوساط الثقافية.

✓ الحد من ظاهرة التباهي باستعمال اللغة الأجنبية حتى في المواطن التي لا تدعو إلى ذلك.

وتعليمية العربية في ظل الإصلاح الراهن مس جوانب عديدة ومتعددة لها، لأن "إنشاء النسق اللساني بالنسبة إلى الطفل إقامة القيود الأساسية للغة وإدماجها، وينتج هذا الإنشاء عن التفاعل بين تنقية الكفاءات التواصلية، وتكوين المراقبة الصوتية الوظيفية، والتطور المعجمي، وبين إقامة القيود القاعدية الرئيسية"²⁶، مما يؤدي بالضرورة إلى نجاعة العملية، فقد طرأ على التوقيت الزمني إذ لم يعد تعليم النشاطات مرتبطاً بساعات يومية، وإنما أُمست نشاطات متتالية ومتكاملة فيما بينها اعتماداً على المقاربة التواصلية، وكذا تم تحديد ملمحي الدخول والخروج (Profil d'entrée et de sortie) بالنسبة لكل من استعمال اللغة والقراءة والكتابة. وهذا وقد تم تحديد الكفاءات الختامية لنهاية كل سنة دراسية مرتبطة بملمح الخروج، هذه الكفاية تشتمل على كفايات قاعدية تتعدد بتعدد النشاطات²⁷.

مقاومة الإصلاح:

إن رفض سياسة التغيير في أي مجال من مجالات بناء المجتمع أمر لا مناص منه، إذ ساسة التغيير التربوي وهم يدجون صفحات مطولة حول سياسة الإصلاح التربوي، متفائلين بنجاح المشروع الإصلاحي، متأملين بتحقيق التصورات العامة والمواصفات التي على المدرسة توفيرها في المتعلم، مستعملين لغة فخمة متفائلة، مكونة من عبارات مرصعة بالنعوت الإيجابية الوثيجة، يثقون أمامهم ما يعرقل مساعيهم، فمن الصعوبة بمكان تحقيق المأمول، إذ السبيل معبّد بالأشواك والعراقيل المنذرة بالخطر.

لكن ينبغي أن يكون الراضون على دراية تامة أن التفكير بالتغيير أمر ضروري للحياة، فهو الذي يضمن سلامتها وخلودها، فركود الحياة والإستسلام للأقدار من أخطر الآفات التي تجعل الشعوب والأمم تنقرض، وتندثر مع الأحداث والأيام، لذا "كان التفكير بالتغيير من أهم أنواع التفكير، والتفكير بالتغيير لا يستسيغه الخاملون ولا يقبله الكسالى..... لأن من تتحكم فيهم العادات يرون في التفكير بالتغيير ضرراً عليهم، ونقلاً لهم من حال إلى حال ولذلك يحاربه المنحطون والكسالى، ويقف في وجهه من يسمون بالمحافظين"²⁸

من بين مسببات العرقلة كثرة التلاميذ في البيئة الصفية، مما يحول دون تغطية العمل التعليمي والإهتمامي بكل فرد من هؤلاء، فالبيداغوجيا الفارقية لا يمكن تحقيقها في ظل الزخم التلمذي، كما أنه من السهل الإرتجال حين الحديث عن التصورات العامة التي تسنها الإصلاحات التربوية والمواصفات التي على المدرسة توفيرها في المتعلم وحشد عدد كبير من العبارات المرصعة بأكبر قدر من النعوت الإيجابية، أو تديج ذلك على صفحات مطولة، ومن الصعب تحويل كل ذلك أو بالأحرى بعضه إلى حقيقة.

الكتاب المدرسي في ظل الإصلاح التربوي:

ينشد الإصلاح التربوي ضرورة تكييف الكتاب المدرسي والتطورات الراهنة (أي التطورات إلى يتخذها المنهاج التربوي كمعيار لبنائته)، إجتماعية كانت أو بيداغوجية، إذ يسهم في نشر نظام من القيم الوطنية وثقافة المجتمع جنباً إلى جنب. لذا فهو منوط بإعداد وظائف عديدة فضلاً عن الإحاطة بالمعلومات واقتراح النشاطات والتمارين، إذ يعدّ سند للاتصال والتفاعل بين المدرّس والتلاميذ من جهة، وبين المدرسة والأسرة من جهة أخرى²⁹.

ثبت لنا بالنص الناصع والدليل القاطع³⁰ أن بيداغوجيا الكفاءات بعيدة كل البعد عن التنفيذ الفعلي داخل البيئة الصفية ما يفسح المجال واسعا أمام المكون لتقفي الطرائق القديمة وتجنب سبر أغوار التجديد التربوي بما يحمله في أعشائه من مستجدات وما ينبجس عن هذا المخاض، فهل يمكننا الجزم بقولنا ضعف الطالب والمطلوب؟ لما الحكم التأيبي على أساس التأسيس والتنفيذ؟ وإذا كان الأمر كذلك فأين أعمال هؤلاء الذين ينقدون؟

تتلقى الوزارات الرسمية للتعليم سواء العالي أو الدنيوي آلاف البحوث سنويا، وهي تدفع مقابل ذلك سيولات مالية لا حدود لها، فلماذا لا تجدي تلك البحوث نفعا؟ وتسعى منظومتنا إلى الإستعانة بأبحاث الغرب. يا من تتقدم بالنقد اللاذع اعلم أن كل تأسيس يستدعي الفعل التراكمي.

قد خلصنا إلى نتائج وخيمة تحط رحالها على ميدان التربية لتبين ما به من أذى وهي :

Ψ لم ترق المقاربة بالكفاءات إلى المستوى التطبيقي الذي يبقى دوما غاية كل معلم .

Ψ إن المتعلم الجزائري وفي مختلف الأطوار الدراسية يعاني من ضعف فادح في الملكة اللغوية والقدرة على

التعبير.

Ψ ما زال الفعل التربوي في بلادنا يروم النموذج التقليدي القائم على حشو أذهان المتعلمين بالمعارف

، دون سعي حثيث إلى تبني التصورات البيداغوجية الجديدة، بمحاولة فهمها ومن ثم تطبيقها وتفاذي النقائص الموجودة فيها.

Ψ عدم ملاءمة الظروف المعاشية لتطبيق المقاربة بالكفاءات، من مباني مدرسية ووسائل معلوماتية وأساتذة

أكفاء... إلخ.

Ψ اكتظاظ البيئات الصفية مما يعسر على المعلم التدريس وفق هذه المقاربة، خاصة وأن عملية التشويش

تزيد الطين بلغة، إذ أنها تعرقل عملية التبليغ.

Ψ عدم تكافؤ الفرص بين التلاميذ في ظل هذه البيداغوجيا، إذ كان لزاما تطبيق بيداغوجيا الفروق الفردية

جنبنا إلى جنب مع بيداغوجيا الكفاءات، والمعلم الجزائري لا يسعى نحو تطبيق المقاربة الثانية فما بالك إن ثقل كاهله بالأولى .

Ψ كثافة البرامج الدراسية إذ لا يتسنى للمعلم إتمام برامجه .

Ψ عدم توافق الوقت الزمني ومتطلبات استراتيجية تطبيق المقاربة بالكفاءات، كذا الوقت الزمني والبرنامج

المخصص.

Ψ انتشار حالة الفشل المدرسي، من رسوب وطرده....

إن حالة التعليم في بلادنا تدق ناقوس الخطر مستنجدة بأهل العلم، فهل من منفذ؟

الهوامش:

- 1- ينظر: تدريس اللغة العربية بالكفاءات عن مديرية التربية لولاية قسنطينة، الجزائر، ص18 .
- 2- ينظر طه علي حسين الدليمي / سعاد عبد الكريم عباس الوائلي: اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، دار الشروق ، لبنان، 2005، ط1، ص64 .
- 3- ينظر :كلمة العدد (على لسان أبو بكر بن بوزيد) ،مجلة المرئي ،المركز الوطني للوثائق التربوية ،الجزائر ،مارس 2005،ص01 .
- 4- العلوم الاجتماعية :التعريف بالمادة وتحديد أهدافها وفق المقاربة الجديدة للسنة الأولى ثانوي ،المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية الوطنية وتحسين مستواهم ،ص2.
- 5-ينظر القانون رقم 04 - 08 مؤرخ في 15 محرم عام 1429 الموافق ل 23 يناير سنة 2008، المادة 27، وزارة التربية الوطنية ،الجزائر .
- 6-القرار رقم 10 المؤرخ في 12أفريل 2005، وزارة التربية الوطنية ،الجزائر .
- 7-قرار رقم 184 مؤرخ في 23 صفر 1427هـ، الموافق ل 23مارس 2006، وزارة التربية الوطنية ،الجزائر .
- 8- قانون رقم 04 - 08 مؤرخ في 15 محرم عام 1429 الموافق ل 23 يناير سنة 2008، وزارة التربية الوطنية ،الجزائر .
- 9-Broubeler Benbouzid ;opcit ,p186.
- 10- إكزافيي روجيرس :المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية ، ص 11 .
- 11- ينظر المعجم التربوي،المركز الوطني للوثائق التربوية،الجزائر،2009،ص114.
- 12- ينظر :مذكرة إعداد المناهج ،وزارة التربية الوطنية ،الجزائر ، 2000،ص2 .
- 13-المرجعية العامة للمناهج معدلة وفق القانون التوجيهي للتربية رقم 08-04المؤرخ في 23 يناير 2008،وزارة التربية الوطنية ،الجزائر،2009، ص 31 .
- 14- قانون رقم 04 - 08 مؤرخ في 15 محرم عام 1429 الموافق ل 23 يناير سنة 2008،المادة 53، وزارة التربية الوطنية ،الجزائر .
- 15- المواد 02،03،04،05 من القرار الوزاري رقم 16،المؤرخ في 14ماي 2005، وزارة التربية الوطنية ،الجزائر ،والذي يتضمن تحديد هيكلية التعليم الثانوي العام والتكنولوجي،إصلاح المنظومة التربوية النصوص التنظيمية (الجزء الثاني)،مديرية التقييم والتوجيه والاتصال،الجزائر، 2009، ص 97 . بتصرف.
- 16- عبد القادر شاروف أفغول :دراسة تقييمية ،المجموعة المتخصصة لمواد الهندسة الميكانيكية ،وزارة التربية الوطنية ،الجزائر،2002،ص02.
- 17-عمار كويان:ملف حول التعليم الثانوي التقني ،وزارة التربية الوطنية،الجزائر،1998،ص04.
- 18- ينظر: إقتراح جدولة لنشاطات اللجنة الوطنية للمناهج والمجموعات المتخصصة للمواد،وزارة التربية الوطنية ،الجزائر ، ص 04 .
- 19-ينظر :مذكرة إعداد المناهج ، ص(3-4).
- La Reforme de l'éducation en Alger ,p187:20-voir Boubekeur Benbouzid
- 21- نافذة على التربية ، ع 58،المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر ، 2003، ص 5 .
- 22- إبراهيم عباسي : إصلاح البرامج مدخل لإصلاح التربية، الكتاب السنوي ، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر 2003 ،ص 32 .
- 23- سلسلة نافذة على التربية ، ع 58، ص 8 .
- 24-هيئة التأطير بالمعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، تعليمية مادة الأدب العربي للتعليم الثانوي، الجزائر 2004 ، ص 64 بتصرف .
- 25- ينظر عبد القادر فضيل :واقع تدريس اللغة العربية في مدارسنا وسبل تطويره ، مجلة العربية الراهن والمأمول ،عدد خاص،المجلس الأعلى للغة العربية ،الجزائر ، 2009، ط1، ص478 .
- 26-أوزوالد ديكرو/جان ماري سشايفر:القاموس الموسوعي للجديد لعلوم اللسان ، تر منذر عياشي،المركز الثقافي العربي،المغرب،2007، ط2، ص 460 .
- 27-voire :Challouf Hocine :lecture critique de nouveaux programmes, Séances de formation approche par competences et developpement des curriculums ,29novembre-02decembre 2004 ;p04.
- 28- محمود الخالدي :التفكير بداية الطريق لهضة الأمة الإسلام، شركة شهاب، الجزائر، 1988، ص 49 .
- 29- مواصفات صناعة الكتاب المدرسي ، سلسلة نافذة على التربية، المركز الوطني للوثائق التربوية ، الجزائر، 2003م ، ع 52، ص 8 .
- 30- من خلال دراسة ميدانية أجريناها على المناهج التعليمية في المرحلة الثانوية.